الحكاية في شعر الأطفال

الدكتورة كافية رمضان
كلية التربية ـ جامعة الكويت

الملخص

يهدف هذا البحث الى تعرف جذور الشعر القصص في أدب الأطفال وتعرف أعلامه الأوائل الذين وجهوا شعرهم الى الأطفال ، ويهدف الى تصنيف ذلك الشعر حسب الشخصيات الرئيسة في القصة الشعرية سواء أكانت بشرية أم حيوانية أم من عناصر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم . . . الخ . كما يهدف الى دراسة مصادر الشعر القصصي الى ما يلي :ـ

- تعرف الجمهور المستهدف ومراحل الأطفال العمرية التي تتوجه اليها هذه الأشعار .
- الموضوعات التي تناولها الشعراء ، لتعرف المضمون الفكري والأهداف التربوية .
- الشخصيات التي لعبت الأدوار الرئيسة ، لتعرف خصائصها .
- كيفية صياغة الشعراء لحكاياتهم الشعرية لتعرف الأسلوب الفني واللغة .

وقد خلص البحث الى مجموعة من النتائج تركزت في أن الشعراء الذين توجهوا للأطفال لم يحددوا على وجه الدقة المرحلة العمرية التي يتوجهون اليها، وان الموضوعات التي تناولوها على درجة عالية من التنوع فامتدت من الخرافة القديمة الى القضايا الوطنية المعاصرة، وقد استخدم معظم الشعراء العرب الشخصيات الحيوانية ، تليها الشخصيات البشرية، ثم عناصر الطبيعة المختلفة .

أما من حيث مستوى اللغة وأسلوب المعالجة ونوعية الفكرة التي يطرحها أولئك الشعراء فقد تبين انها في معظمها تناسب الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة ، وندر منها ما يناسب المراحل العمرية التي تسبق ذلك .

المقدمة

لماذا «الحكاية في شعر الأطفال»؟ .

حين اخترت أن يكون بحثي تحت هذا العنوان كنت أقول : يا له من موضوع شائق ! فالحكاية في ذاتها شيء ممتع ، والشعر في ذاته كلام ممتع ، والطفل في ذاته مخلوق غاية في الإمتاع واللطف . فكيف لو اجتمع كل أولئك في موضوع واحد؟

ولنبدأ مع الطفل وليداً :

يفتح الطفل عينيه، وهو في المهد، على ترانيم أمه، فإذا بلغ السنة أو جاوزها قليلا تحول أمه ترانيمها إلى حكايات قصيرة، أو ألعاب شعبية من خلال حكاية، وعلى الرغم من أن الطفل يحفظ أحداث الحكاية إلا أنه يستعيدها مرات ومرات، وكأنه يسمعها أول سرة، ويشارك في بعض الأحيان برد الراوي إلى الأحداث، إذا تعثر، أو تصرف بالحكاية على هواه.

تلك الترانيم وتلك الحكايات الأولى مسجوعة أو غير مسجوعة، هي البدايات التي تعبر عن شغف الطفل بما يروي، فيقبل على تعرف العالم الخيالي المسحور، دون أن تكون لديه صورة محددة عن هذا العالم، ولعل هذا الغموض هو الذي يدفعه إلى بناء عالمه الذاتي وفق ما يشتهي.

ويشغل الكتّاب أنفسهم بابتكار الحكايات المشوقة، مستهلمة من التراث، أو من غير التراث، ثم يأتي دور الشعراء فيصوغون بعض الحكايات شعرا، فيضيفون إلى الأحداث والخيال الوزن والايقاع، فيكون من ذلك حكاية مغناة أو مغناة محكية.

ومن الطبيعي ألا تكون هذه الحكايات الشعرية موجهة إلى الطفل في سنيه الأولى؛ لأن فيها، مهما سهلت، من الألفاظ والتراكيب ما هو غريب عليه. وهو إلى ذلك معتاد في يومه سماع اللغة العامية، وقل من يستخدم الفصيحة لغة في الحوار اليومي مع أطفاله. وعلى هذا فالحكايات الشعرية قد تصلح لمرحلة المدرسة الابتدائية أكثر ما تصلح، حيث يكون الطفل قد شدا شيئا من اللغة الفصيحة، وغدا قادرا على الاستيعاب والحفظ. غير أن هذا لا يمنع من نظم بعض الحكايات القصيرة، لمرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية، بلغة مبسطة، تعتمد على حكاية الأصوات الطبيعية، كأصوات العصافير، وبعض الحيوانات، وصوت الريح، وصوت الماء، إلى ما هنالك من أصوات. . . تمهيدا لما سيلقى على الطفل في المدرسة الابتدائية(!)

أهمية البحث :

تأتي أهمية هذا البحث من أنه يطرح قضية مهمة تتصل بنوعين من الأدب، متوحدين في صيغة واحدة، هما الحكاية والشعر. فالحكاية الشعرية ليست كالحكاية العادية، فهي مقيدة بالوزن والقافية، واللغة الفصيحة، والحيز المحدود، والعالم الحيواني على الأغلب، وقل من الشعراء من خرج عن هذا العالم إلى عالم أرحب، إلا في السنوات الأخيرة.

وإذا كان لبعض الشعراء خلفية تربوية، تتيح لهم أن يعرفوا ما يصلح للطفل من حكايات في مراحل الطفولة المتتابعة، من حيث المضمون والصياغة، فإن كثرة من الشعراء يرتادون هذا المجال دون دراية كافية بميول الطفل وقدراته العقلية واللغوية.

وإذا كانت الحكاية بمغزاها، فإننا سنحرص على إبراز القيم التي تحملها بعض هذه النماذج، ونشير إلى آثارها التربوية في نفوس الأطفال. ولا سيما أن الحكايات الشعرية يحفظها الطفل بنصها دون تصرّف، فتنطبع في ذاكرته مدى الحياة.

وعلى ذلك فإن هذا البحث سيحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١ ـ من أبرز أعلام الشعر القصصي ورواده الأوائل الذين توجهوا إلى الطفولة.
٢ ـ ما الشخصيات التي احتملت الموضوع المطروح؟ لتعرف الشخصيات.
٣ ـ ما أبرز ينابيع الحكاية الشعرية الموجهة للأطفال؟
٤ ـ ما الأهداف التي اختارها الشعراء لحكاياتهم؟ لتعرف المضمون الفكري والهدف التربوي.
٥ ـ إلى من تتوجه الحكاية الشعرية؟ لتعرف الجمهور المستهدف .
٦ ـ كيف صاغ الشعراء حكاياتهم الشعرية؟ لتعرف الأسلوب الفني واللغة.

أما ما قدمناه من حديث عن تاريخ الحكاية الشعرية واعلامها وأصولها، فهو الإطار العام الذي لا بد منه لهذا البحث.

حدود البحث :

مدار بحثنا الحكاية الشعرية دون التعرض لمن كتبها، وما يهمنا منها هو موضوعها ومغزاها (القيمة التربوية)، وشخصياتها، وبيئتها، وصياغتها ولغتها.

وقد راعينا في هذا البحث أمرين :

أولهما : أن يكون شاملا يحيط بالفن الشعري القصصي الموجه إلى الأطفال منذ كان.

وثانيهما : أن يكون خاصا من خلال حكايات شعرية، تمثل اتجاهات متنوعة تلقي عليها إضاءات تكشف عنها الغلالة، وتوضح قيمتها الفنية.

وبين العموم والخصوص كانت لنا وقفات عند بعض النماذج التي تصلح شاهدا على ما نذهب إليه.

ولأن هذا البحث محدود، فإننا ذكرنا بعض الشعراء الذين أسهموا في الحكاية الشعرية، واستشهدنا ببعض النماذج لهم ولآخرين، لكننا لم نأت على ذكرهم أجمعين، والعذر في ذلك أننا لا نؤلف مرجعا ببيلوغرافيا لهم، وإنما نؤلف بحثا يستأنس بالشعراء الذين يمثلون التنوع في الأهداف والصياغة الفنية، ونحن على ثقة بأن كلا منهم يحتاج بحثاً منفصلاً.

وقد اعتمدنا على مراجع ودواوين ومجلات وكتب المختارات، ودراسات عامة أنارت لنا الطريق.

وفي بحثنا هذا مقدمة، وستة محاور :

المقدمة : وفيها حديث عن الشعر القصصي في الأدب العربي بعامة.
المحور الأول : أعلام الشعر القصصي ورواده الأوائل.
المحور الثاني : في الشخصيات.
المحور الثالث : في ينابيع الشعر القصصي للأطفال.
المحور الرابع : في أهداف الشعر القصصي للأطفال.
المحور الخامس : دراسة نماذج من الحكايات الشعرية للأطفال.
المحور السادس : مستخلصات ونتائج.

حول المصطلحات :

فضلنا أن نستخدم اصطلاح (حكاية) على (القصة واوقصوصة فما نظمه الشعراء لا يعدو أن يكون في باب الحكاية. واستخدمنا في ثنايا حديثنا معه (القصص) استخداما لغويا للدلالة على ما يحكى مستوحين ذلك من الآية الكريمة ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾[1].

أولية الشعر

دار كثير من النقاش في المنتدبات الأدبية، وعلى صفحات الجرائد، وفي بطون الكتب عن أولية الشعر والنثر. أيهما كان الأسبق؟ ولسنا هنا في معرض البت في هذه القضية، التي شغلت الكتاب زمنا، وإنما أردنا أن نذكر بها لتكون مدخلا إلى موضوعنا.

فالشعر إيقاع، والنفس البشرية تميل إلى الايقاع بفطرتها، فالجسم البشري محمل بالإيقاع المتمثل بالنبض، ودقات القلب، وحركة التنفس، ثم الضحك، والبكاء، وطريقة التحدث[1]، وكثير من الإيقاعات تحيط بالأطفال من كل جانب من جوانب

حياتهم، فتكون تلك العلاقات الموسيقية الخفية. التي يأتي الشعر فيما بعد؛ لكي ينقلها إلى العالم المرئي[٢]. وما استجابة الطفل لترنيمات الطفولة إلا تعبير دقيق عن تأثير الايقاع في وجدان الطفل.

والشعر ألصق بالحافظة من النثر، وعليه اعتمدوا في سيرورة الأخبار، ولا سيما أخبار الحروب التي صيغت في ملاحم، وأخبار الملوك والخلفاء والولاة، وقل من نظم شيئا عن أخبار الرعية !!، وعلى الشعر اعتمد بعض النحاة، فنظموا به قواعد النحو، ليسهل على الطلبة حفظها، كما فعل ابن مالك في ألفيته. وبه نظم العروضيون أوزان البحور؛ لتكون في متناول الذاكرة، فكان من ذلك شعر تعليمي منظوم، أو قل هل نظم تعليمي ليس غير.

وبالشعر أنشد الشعراء معلقاتهم وغرر قصائدهم، وبه غنى المغنون. فالشعر على هذا أقرب إلى الفن منه إلى العفوية المرسلة، وهو بالموهبة الشعرية والجهد ألصق.

وقد قالوا : الشعر ديوان العرب. لأنه شاهد على حياتهم، ومشاعرهم، وكل ما يعرض لهم.

الشعر القصصي :

فن القصص بعامة محبب إلى النفس، فالإنسان بفطرته يميل إلى معرفة ما حدث للأخرين، فإذا قص ما حدث للآخرين بأسلوب مشوق بلغ الإنسان به غاية المتعة[١].

وإذا كان القصص في النثر يميل إلى الإسهاب، فإنه في الشعر مكثف موجز، يتفق وطبيعة الشعر نفسه، الذي يتسم بالتكثيف والإيجاز.

والشعر القصصي معروف في كل عصر من العصور الأدبية، لكنه لم يتخذ أسلوبا واحدا، فهو يراوح بين الإشارة القصصية، والحكاية المكتملة.

فامرؤ القيس[٣] مثلا يتحدث في إحدى قصائده عن توجهه إلى قيصر الروم، وصاحب له بأسلوب فيه إشارة قصصية، فيقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لاتبك عينك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وفي الإسلام نلمح إشارات قصصية في شعر عمر بن أبي ربيعة[٤]لعل من أشهرها :

بينما ينعتنني أبصرنني ... دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى: أتعرفن الفتى؟ ... قالت الوسطى: نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها: ... قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

وله ما هو أبعد من الإشارة القصصية حتى ليكاد يبلغ الحكاية المكتملة.

أما الحكاية الشعرية المكتملة بعناصرها فنجدها عند الحطيئة[٥] وهو شاعر إسلامي، معاصر للخليفة عمر (رضي الله عنه) ومما ينسب إليه حكاية الأعرابي الفقير الذي طرقه ضيف، ولم يكن عنده ما يطعمه، وفيها يقول:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ... ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوة فيه من الإنس وحشة ... يرى البؤس فيها من شراسته نعمى
وأفرد في شعب عجوزا إزاها ... ثلاثة أشباح تخالهم بهما
حفاة عراة ما اعتذوا خبز ملّة ... ولا عرفوا للبر مذخلقوا طعما
رأي شبحا وسط الظلام فراعه ... فلما بدا ضيفا تشمر واهتما
فقال: هيا رباه ضيف ولا قرى ... بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرة ... أيا أبت اذبحني ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرأ ... يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلا ثم أحجم برهة ... وإن هو لم يذبح فتاة فقدهما
فبينا هما عنت على البعد عانة ... قد انتظمت من خلف مسجلها نظما
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها ... على أنه منها إلى دمها أظمأ
فأمهلها حتى تروت عطاشها ... فأرسل فيها من كنانته أظما
فخرت نحوص ذات جحش سمينة ... قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيابشره إذ جرها نحو أهله ... ويابشرهم لما رأوا كلمها يدمى
فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم ... وماغرموا غرما وقد غنموا غنما

فمتأمل هذه الحكاية يجدها مكتملة العناصر، فيها البداية، والوسط، والتصاعد، نحو الأزمة، ثم الحل والخاتمة. وهنالك شخصيات حية فاعلة في الحدث، وهنالك بيئة صحراوية، وزمان موحش، وهنالك سمات نفسية، وصراع داخلي. ولو أن ناثراً تناولها، وفصل فيها، لخرجت عن حيز الحكاية إلى الأقصوصة الفنية.

وسواء أكان الحطيئة من كتبها أو غيره من ناحلي الشعر، فإنها تبقى شاهدا صريحا على أن الحكاية الشعرية كانت معروفة عند العرب.

ولسنا نثبت هنا ما اختلف فيه نقاد الأدب المحدثون حول وجود الملاحم الشعرية في الأدب العربي، فذلك موضوع آخر خارج عن حدود هذا البحث.

وإذا كانت الحكاية الشعرية قد عرفت في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، فقد عرفت أيضا في العصور الأدبية التالية، وازدهرت في العصر العباسي على يرى بشار، وابن الرومي، وأبي فراس، وأبي نواس، والبحتري، وغيرهم.

وفي العصر الحديث برز فيها شعراء المهجر منهم إلياس فرحات، ورشيد أيوب. ومن اللبنانيين خليل مطران شاعر القطرين، وأمين تقي الدين، وشبلي الملاط، والشيخ عبدالله البستاني، والأخطل الصغير، ولعله أشهرهم في هذا اللون من الشعر وقد كتب سبع حكايات شعرية هي : [٦].

١ ـ من مآسي الحرب. ٢ ـ الريال المزيف ٣ ـ سلفين وجيروم
٤ ـ المسلول. ٥ ـ سلمى الكورانية ٦ ـ عروة وعفراء.
٧ ـ عمر ونعم.

ويسهم جماعة أبولو[٧] في القصة الشعرية، وأبرزهم أحمد زكي أبو شادي، ومختار الوكيل، وعامر بحيري[٨].

ثم جاء بعد هذا الجيل من الشعراء جيل ما زال بعضه يعيش بيننا حتى اليوم، وشاركوا بكتابة الحكاية الشعرية في الأغراض الاجتماعية والوطنية والسياسية، مثل سليمان العيسى، وهارون رشيد، وبيان الصفدي، ومبارك حسن خليفة، ومحمود درويش، وسميح القاسم، ونزار قباني.

المحـــور الأول
أعلام الشعر القصصي ورواده الأوائل.

أما نظم الحكايات للأطفال، فهو موضوع مستحدث. بدأ في منتصف القرن التاسع عشر، وما زال بعض الشعراء يعالجونه بين حين وآخر، على سبيل التنويع في أغراض شعرهم، أو إيمانا منهم بأن للصغار عليهم حقا، وأن من واجبهم أن يكتبوا لهم شيئا، يمتعهم ويفيدهم.

وبعض الدارسين يجعل أولية ظهور هذا الفن على يد أحمد شوقي، ويعده الرائد الأول لحكايات الأطفال الشعرية[٩]. غير أننا مع آخرين نرى أن الريادة معقودة لمحمد عثمان جلال، المتوفى عام ١٨٩٨. وقد اقتبس كلا الشاعرين هذا اللون من الشعر عن الشاعر الفرنسي «لافونتين».

صحيح أن محمد عثمان جلال لا ينص صراحة على أنه وضع حكاياته الشعرية للأطفال، غير أن وزارة المعارف العمومية قررت كتابه «العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ» على المدارس الابتدائية وهو الكتاب الذي يحوي هذه الحكايات. وهذا يدل دلالة واضحة على أن الوزارة المختصة رأت أن مثل هذا الكتاب يصلح للأطفال آنذاك.

ونحن لا نرتاب في أن أحمد شوقي قد اطلع على كتاب محمد عثمان جلال، ونرجح أن يكون قد استوحى منه فكرة النظم للأطفال على الأقل، إن لم يكن استفاد من الحكايات نفسها، وإن كان قد أعلن عن تأثره بلافونتين دون غيره.

وسنحاول بعد أن رجحنا الرأي في عقد الريادة لمحمد عثمان جلال أن نورد أسماء أعلام هذا الفن وفق التسلسل الزمني لسنوات وفاتهم.

أولا : محمد عثمان جلال (١٨٢٨ ـ ١٨٩٨م) أول حكايات شعرية موجهة إلى الأطفال نطالعها في كتاب «العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ»[١٠] لمحمد عثمان جلال، وهو شاعر مصري ترجم أمثال «لافونتين»[١١] عن الفرنسية وهي حكايات على لسان الحيوان والطير، وقد قررت وزارة المعارف العمومية تدريسه في المدارس الابتدائية في حياة صاحبه، ثم أعادت طبعة بعد وفاته بعشر سنوات عام ١٩٠٨م. وقد اعترف المؤلف ان أصل هذه الحكايات يوناني، أخذها (لافونتين) عن (إيسوب اليوناني)[١٢] الذي اشتهر بهذا النوع من القصص.

وقد ضم الكتاب مئتي حكاية، صنفها على النحو التالي :

- حكايات الحيوان والطير.
- حكايات عامة أخلاقية.
- قصص شعبية فكاهية.

ثانيا : إسماعيل صبري (١٨٥٤ ـ ١٩٢٣م) وهو شاعر مصري اشتهر بالظرف، ولقب بشيخ الشعراء. اشتمل ديوانه على حكاية شعرية واحدة، تدور حول الثعلب والغراب وقطعة الجبن، وهي حكاية ترجمها عن (لافونتين)، ونشرها عام ١٩١٠م، وهي شبيهة بما كان نظمه محمد عثمان جلال قبله.

ثالثا : إبراهيم العرب (؟ ـ ١٩٢٧) وهو شاعر مصري عاش في القرن الماضي وبداية القرن الحالي، نظم تسعا وتسعين حكاية شعرية للأطفال. يقول في مقدمة كتابه «آداب العرب» : «هذا كتاب خدمت به نابتة الوطن، المحبوب، وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة، ليأخذوا منها ما يربى أنفسهم واخلاقهم ويطبعها على أصول آراء

المتقدمين، وقد التزمت أن أجعل مواعظ كتابي أقاصيص قريبة التناول، واضحة المعنى، سهلة النظم يقرؤونها بلا ملل، وينتهون منها إلى تلك الكلم الجوامع، كأنها نهايات طبيعية لتلك المواضع العذبة المشرب. على أنني جاريت السابقين من كتاب العرب، وأدباء الغرب، فجعلت حكم تلك العظات دائرة على ألسن بعض الحيوانات المعروفة[١٣].

وهو يشير بهذا إلى ابن المقفع ولافونتين. وقد جعل المؤلف حكاياته الشعرية في قسمين : الأول على لسان الحيوان والطير، والثاني يدور حول المشكلات الأجتماعية وعلاجها.

ويبدو من هذه المقدمة أن المؤلف كان يتوجه بهذه الحكايات إلى الأطفال الذين سماهم (نابتة الوطن المحبوب)، وكان هدفه أخلاقيا تربويا. واتخذ للوصول إلى الأطفال الشخصيات الحيوانية، واللغة السهلة، والحوار الرشيق.

رابعا : أحمد شوقي (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢م) وهو شاعر مصري بويع بإمارة الشعر في حفل ضم أدباء العرب في دار الأوبرا الملكية عام ١٩٢٧. وله ديوان عرف بالشوقيات، ضم شعره مصنفا بحسب أغراضه. وقال في مقدمة ديوانه الذي طبع أول مرة عام ١٨٩٨ حول حكايات الأطفال الشعرية التي كتبها لهم : «جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهيرة. وفي هذه المجموعة شيء من ذلك. فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث، أجتمع بأحداث المصريين من ذلك. فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث، أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها، فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه، ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك، واتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم»(!).

من هذه المقدمة تتضح الأمور التالية :

- ان أحمد شوقي اقتبس هذا النوع من الشعر القصصي عن لافونتين الفرنسي.
- وإنه اختبر وقع هذه الحكايات على الأطفال من الناحية اللغوية فوجدهم يفهمون الحكاية دون مشقة، واختبر متعة الأطفال بها فوجدهم يأنسون إليها، ويضحكون من أكثرها.
- وإنه كان عازما على خوض التجربة إلى نهايتها، تقليدا لما يجري في الغرب.

وقد أحصينا الحكايات الشعرية التي كتبها شوقي في بابي الحكايات وديوان اوطفال في الجزء الرابع من ديوانه[١٤] فبلغت (٦١) حكاية منها (٥٥) في باب «الحكايات» و(٦) حكايات في باب «ديوان الأطفال»، عدا ما ضم هذا الباب من أناشيد مدرسية.

ولا ندري سبب توزع هذه الحكايات على البابين، لأنها جميعا ذات طبيعة متشابهة ومستوى متقارب. لا نعتقد أن أحمد شوقي قد يتوجه إلى الأطفال بست حكايات فقط. كما أن شعر شوقي للأطفال نفسه بحاجة إلى دراسة منفصلة لاختلاف الآراء حول ما كتبه خصيصا للأطفال، وما تضمن من أغراض رمزية، قد لا تكون موجهة للصغار.

خامسا : محمد الهراوي (١٨٨٥ ـ ١٩٣٩م) وهو شاعر مصري كتب شعرا كثيرا لم يجمع حتى اليوم[١٥]، وكل ما جمع هو ذلك الشعر الذي خصصه للأطفال، ومن آثاره في ذلك سمير الأطفال للبنين بأجزائه الثلاثة. وسمير للأطفال للبنات بأجزائه الثلاثة، وكتاب السمير الصغير، والطفل الجديد، وأبناء الرسل، وأغاني توقيعية كثيرة.

وله من الحكايات الشعرية ثماني قصص فقط، هي : الطفل والهر المرائي، وحيلة ونزهة الكلاب، والكلب والحصان، والعطف الأخوي، والشقاق مجلبة الفشل، وكيف يلاعب الملوك أبناءهم، وبين جد وحفيدته. وقد جعل أحمد سويلم أنشودة الطفلة والطائر المغني أولى الحكايات، وهي ليست بحكاية على التحقيق.

سادسا : محاولات متفرقة حديثة : كتب فؤاد بدوي من مصر مجموعة من الحكايات تحت عنوان «من أصحابي» وهي حكايات مصورة. وكتب عبدالعليم القباني من مصر أيضا سبع حكايات شعرية تحت عنوان «قصائد من حديقة الحيوانات». أخذ بعضها عن إيسوب اليوناني، وبيتوفي المجري، وكريلوف الروسي.

ولفاروق سلوم من العراق بعض الحكايات الشعرية المنشورة في «فراشات ونجوم» وهي من السلسلة الشعرية التي تصدرها مكتبة الطفل في دائرة ثقافة الطفل.

ولعبد الرزاق جبار الربيعي، من العراق أيضا، حكايات منشورة في السلسلة نفسها، ولزميله حسن دكسن حكايات أخرى تحت عنوان أغاني سندباد، كما أن هناك بعض الشعر القصصي الذي كتبه عبدالرزاق عبدالواحد في السلسلة ذاتها.

ويعد سليمان العيسى من سورية الشاعر الأكثر إنتاجا في شعر الأطفال منذ عام ١٩٦٧، وفي الأعمال الكاملة التي صدرت له مجموعة كبيرة من الحكايات الشعرية، التي تحمل القيم الوطنية والقومية. وفي مجموعة «الطفل يغني كلماتي لياسر المالح بعض

الحكايات الشعرية، وهي مكتوبة للبرنامج التلفزيوني «افتح يا سمسم» الذي عرض في معظم المحطات التلفزيونية العربية[١٦].

ولسنا نستطيع أن نحصي الشعراء العرب، الذين كتبوا حكايات شعرية للأطفال فهذا أمر يحتاج تفرغا كاملا ووقتا طويلا، ولا سيما ان الكتابة للطفل قد نشطت كثيرا في عشرين السنة الأخيرة، فكان من ذلك شعر ونثر، وقصص شعرية، وغير شعرية، ومسرحيات شعرية وغير شعرية، مما يصعب حصره.

وكل ما يعنينا في هذا البحث أن نلقي الضوء على هذا اللون من الحكايات، وأن ندرس بعضها في حدود الإطار الموضوع لهذا البحث.

المحـــور الثانـــي
فـي الشخصيـــات

نستطيع أن نصنف الحكايات الشعرية للأطفال تصنيفات مختلفة، لكننا آثرنا أن نصنفها بحسب (من) أو (ما) يؤديها من شخصيات :

١ ـ حكايات أشخاصها من الحيوان (الأسد، الثعلب، الثور، الأرنب، الديك، الحمامة. . . .).
٢ ـ حكايات أشخاصها من عناصر الطبيعة (شمس، وقمر، وغيوم، ورياح، ونبات، وجبال، وأنهار، وبحار. . .).
٣ ـ حكايات أشخاصها من الإنس، (طفل، أو طفلان، أو أكثر، أو بين طفل وأب أو أم أو جد. . .).

أولا : حكايات الحيوان :

اصطلح بعض من صنف القصص أن يفصل بين الحيوان والطير لسبب لا نعلمه، والحيوان اسم للكائنات الحية غير الأدمية، وغير النباتية، والطير فرع منه. لذلك آثرنا أن يشمل الحيوان ما يدب على الأرض، أو يطير في السماء، أو يسبح في الماء، دون اعتبار لما اصطلحوه من فصل.

والملاحظ أن معظم الحكايات الشعرية العربية للأطفال تندرج تحت هذا الصنف، على الرغم من أن كثيرا من الأطفال لا يعرف الحيوانات أبطال الحكايات. إلا من خلال الصور والأفلام، ولا سيما أطفال الحضر، والسعيد منهم من شاهدها في حديقة الحيوان. أما أطفال الريف، فأفضل حظا، لأنهم يعرفون بعض الحيوانات كالمواشي، والدواجن، والطيور وكل ما يركب من حمير، وخيل، وبغال، وجمال، وبعض المستأنس كالكلاب والقطط. وقد يرون الثعالب والذئاب بين حين وآخر، أما الحيوانات المفترسة، كالأسد والنمر فلا ترى عيانا إلا نادرا.

ترى لماذا لجأ القصاصون إلى اختيار الحيوان وسيلة للوصول إلى الأطفال؟

أظهرت الدراسات النفسية والتربوية أن الأطفال يميلون إلى الشخصيات الحيوانية في ألعابهم ومرحهم، ومنهم من يميل إلى شخصية الحيوان أكثر من شخصية الإنسان، وأن نسبة عالية من الحكايات التي يميل إليها الأطفال، ولا سيما الصغار منهم هي تلك التي تلعب فيها الحيوانات دور البطولة[١٧].

ولنا في ألفة الطفل للحيوان في الحكايات رأي نذكره على سبيل الإغناء، وهو أن الطفل يرتاح إلى الحيوانات بداية؛ لأنها من العجماوات غير المسؤولة. وهو يرى فيها نفسه، ويتساوى معها في اللامسؤولية، فإذا تصرفت في الحكايات على أنها مسؤولة، فإنه يختفي وراء أحدها بحسب ما تنطوي عليه نفسه، لكنه على الأغلب لا يختفي وراء رموز الغدر، وإنما يختفي وراء رموز القوة والطيبة، لأنها أقرب إلى طموحه وصفاء نفسه.

والغاية من توظيف الحيوان في الحكايات إقامة حوار مفيد بين الكبار من جهة، بوصفهم يحملون مقولة، والصغار من جهة أخرى، بوصفهم في حاجة إلى تلك المقولة، هدفه الأخذ بأيدي الأطفال نحو الطريق الصحيح، وإعانتهم على اجتياز طفولة سعيدة[١٨].

والاعتماد على الحيوان في الحكايات ليس بدعا جديدا وإنما هو موغل في القدم، وهو مرتبط بكثير من الخرافات عند الإنسان البدائي، وقد تمثل الحيوان شخصية من شخصيات الحكاية في الكتب المقدسة، كالحية التي أغوت حواء في العهد القديم (التوراة)، وكالوحش ذي الرؤوس السبعة، والقرون العشرة، الطالع من البحر في العهد الجديد (الإنجيل)، وكحديث النمل بعضهم لبعض وحديث الهدهد مع سليمان في القرآن الكريم.

وقد تشارك بحكايات الحيوان شخصيات من الإنس، فيكون منها رموز للشر، أو الخير، أو الحكمة، أو الغفلة.

والدارس لشعر الأطفال في الثقافات المختلفة يجده لا يخلو مطلقا من استخدام الشخصيات الحيوانية، ولكنه يلجأ إلى شخصيات الحيوانات اللطيفة والأليفة الموجودة في بيئة الطفل، كالكلب الصغير، والقطة الصغيرة، تلك التي تتصل بخبرة الطفل اليومية[١٩]. ولكن ذلك لا يعني عدم استخدام شخصيات الحيوانات المفترسة، ولكنها تأتي حين يميل الشاعر إلى الجانب الوعظي أو الرمزي أو حين تسيطر الخرافة، بحيث يلجأ إلى الحيوان المفترس أو الحيوان الخرافي، أو إلى الجن، أو الشخصيات الغامضة.

ولأحمد شوقي عدد من الحكايات التي يشارك فيها الإنس كحكايات سليمان عليه السلام مع الحمامة التي خانت الأمانة، وكذبت حين كلفها أن تحمل رسائلة الى عاملة، ففضت الرسائل الثلاث فرأت فيها تكريمها، ثم ندمت وعادت إلى النبي سليمان[٢٠].

وأتت نبي الله وهي ... تقول يا رب السلامة
قالت: فقدت الكتب يا ... مولاي في أرض اليمامه
لتسرعي لما أتا ... ني الباز يدفعني أمامه
فأجاب: بل جئت الذي ... كادت تقوم له القيامة
لكن كفاك عقوبة ... من خان خانته الكرامة

وهنا نالت الحمامة عقوبتها لإساءتها الأمانة في فض الرسائل والاطلاع على محتواها، ولأنها كذبت على النبي فادعت أن الباز هاجمها فسقطت منها الرسائل. وهنا يبدو النبي سليمان حكيما عادلا، قد جعل الجزاء من جنس العمل.

وللهراوي صورة لطيفة تصلح لأفلام الرسوم المتحركة، ويشترك برسم ملامحها غلام ذكي وكلب[٢١].

رمى غلام بكره ... فاقتربت من شجره
وكان مربوطا بها ... كلب يخاف ضرره
فدار حول جذعها ... والكلب يقفو أثره
فقصر الحبل به ... وعاد يأخذ الكره

وهنا يبرز الذكاء الفطري للغلام حين استطاع أن يتفادى أذى الكلب بالدوران حول الشجرة حتى تسلم له الكرة.

ثانيا : حكايات الطبيعة :

حكايات الطبيعة الشعرية تجسد عناصر الطبيعة في شخصيات ليس فيها مكر وأحتيال أو صراع بين خير وشر، كما في بعض حكايات الحيوان، وإنما هنالك ادوار منسجمة مع تلك العناصر، فالشمس منيرة، والسحابة ممطرة، أو غير ممطرة، والريح عاصفة أو نسمة، والشجرة نضرة معطاء، أو يابسة، مصيرها النار، وهكذا. .

وقد يشارك بحكايات الطبيعة عنصر إنسي أوعنصر حيواني، دون أن يفقدها طابعها العام، وغرض هذه المشاركة إدخال عنصر الصراع، أو إضافة رمز لا يتوافر في عناصر الطبيعة الجامدة[٢٢].

وحكايات الطبيعة يغلب على أكثرها الطابع التعليمي، وعلى أقلها الطابع الشعري، فالطابع التعليمي يؤكد أدوار تلك العناصر، فالغيمة تتبخر من مياه البحر والأنهار، وتنعقد مطرا يهطل على الأرض فتخضر. وتزود الينابيع بمزيد من الماء، فتتفجر وتسيل أنهارا وتتبخر من جديد. فتلك هي دورة الماء في الطبيعة. فإذا كانت غيمة صيف فالأمر مختلف :

مرت علينا الغيمة
تلوح مثل الخيمة
تطرز السماء
كودرة بيضاء
فابتسم الروض لها
وهللت أعشابه
لمقدم السحابة
والكل كان ينتظر
أن يهطل الآن المطر
لكنها تباعدت
في كبد السماء
وخلفت ضحكتها
ترن في الفضاء[٢٣]

فهذه هي سحابة الصيف التي لا تلبث أن تنقشع. دون أن تنعقد مطرا لفقدان الشروط المهيئة لذلك.

ثالثا : حكايات إنسانية :

ونقصد بالإنسانية الحكايات التي تجري بين بني الإنسان، فقد تكون بين طفلين أو بين طفل وأم، أو طفل وأب، أو طفل وجد، فالطفل في هذه الحكايات هو العنصر المشترك فيها جميعا.

من ذلك ما نظمه الهراوي مترجما عن فيكتور هوجو، تحت عنوان «بين جد وحفيدته»، وملخص الحكاية أن هندا حفيدة الشاعر من ابنته قد عوقبت بحبسها في مكان زري، دون أن يقدم إليها شيئا إلا الخبز وحده، فأشفق الجد عليها، ومضى يسرب إليها أنواع الطعام فعاتبته أمها على ذلك، وطلبت اليه مزحا أن يحل محل هند ليتلقى العقوبة بدلا منها. ففعل، وأطلقت هند من حبسها فكانت تأتي إليه بالطعام خلسة، فاكتشفت الأم ذلك.

فجاءت أمها غضبي علينا تشدد في السؤال وفي الجواب
ولكن ضحكة مني ومنها أحالتنا إلى هزل الخطاب
وكانت فرصة للعفو عني وعن هند على شرط المتاب

فهذه حكاية اشترك بها الجد وحفيدته وأمها، وهي تدل على العاطفة الجياشة التي يكنها الأجداد لحفدائهم، وفيها مغزى تربوي أن العقوبة على الخطأ أمر مشروع على أن تغلف بالرحمة والحب دون قسوة.

المحور الثالث

مصادر الشعر القصصي للأطفال

للشعر القصصي الذي نقرؤه للشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ثلاثة مصادر رئيسة :

أولها : القرآن الكريم، والكتب المقدسة.

وثانيها : كتاب كليلة ودمنة، وما نظمه بعض الشعراء من حكاياته.

وثالثها : الأدب الأجنبي (اليوناني القديم، والأوروبي والروسي).

١ ـ القرآن الكريم والكتب المقدسة :

تستمد الثقافات المختلفة كثيرا من القصص الموجهة للصغار من تلك القصص التي وردت في الكتب المقدسة، فهناك مجموعة كبيرة من القصص التي استمدت من التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن الكريم. وتعد الكتب المقدسة معينا لا ينضب للقصاصين والشعراء(!).

وفي القرآن الكريم عدد من السور التي اقترنت عناوينها بأسماء بعض الحيوانات، كسورة البقرة، وسورة النمل، وسورة العنكبوت، وسورة الفيل، والنحل، غير أن الحوار الذي دار بين النبي سليمان عليه السلام والهدهد في القرآن الكريم قد أوحى إلى بعض الشعراء أن ينسجوا حكايات شعرية حول سليمان وبعض الحيوان، وما جاء في الكتب المقدسة حول نوح والسفينة أوحى إلى بعضهم الآخر نظم حكايات تروي بعض ما جرى على السفينة أو حولها، وكان أبرز من نظم هذه الحكايات أحمد شوقي، فله في الجزء الرابع من الشوقيات حكاية سليمان والهدهد، وحكاية سليمان والطاوس، وحكاية سليمان والبلابل، التي رباها البوم، وحكاية سليمان عليه السلام والحمامة، وقد أشرنا إليها لدى حديثنا عن مشاركة الانس الحيوان في الحكاية. وله حكاية السفينة والحيوانات، وحكاية القرد في السفينة. وحكاية نوح عليه السلام، والنملة في السفينة. وحكاية الدب في السفينة، وحكاية الثعلب في السفينة، وحكاية الليث والذئب في السفينة، وحكاية الثعلب والأرنب في السفينة وبنت عرس في السفينة وحكاية الحمار في السفينة.

٢ ـ كتاب كليلة ودمنة :

ترجم ابن المقفع[٢٥] كتاب كليلة ودمنة عن الفهلوية، وهي الفارسية القديمة، والكتاب في الأصل هندي، وضع لأهل السياسة والحكم، ولم يوضع للأطفال. لكن المؤلفين فيما بعد استساغوا أن يقدموا حكاياته إلى الأطفال في الكتب المختلفة، لأنها تجري على ألسنة الحيوان، وبعض بني البشر.

وقد نظم بعض السابقين حكاياته شعرا، وأشهرهم أبان بن عبدالحميد اللاحقي[٢٦]، فقد نظم كليلة ودمنة في نحو أربعة عشر ألف بيت، غير أنه لم يصل إلينا منها سوى سبعين بيتا فقط، وهي التي رواها الصولي في كتابه «الأوراق»، وهي تمثل عددا من الحكايات متداخل بعضها ببعض. منها قوله مثلا في حكاية الأسد والثور :

وإن من كان دنيء النفس ... يرضى من الأرفع بالأخس
كمثل الكلب الشقي البائس ... يفرح بالعظم العتيق اليابس
وإن أهل الفضل لا يرضيهم ... شيء إذا ما كان لا يعنيهم
كالأسد الذي يصيد الأرنبا ... ثم يرى العير المجد هربا
فيرسل الأرنب من أظفاره ... ويتبع العير على أدباره

وممن نظم كليلة ودمنة «ابن الهبارية»[٢٧] في منظومة سماها «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» وله منظومتان شعريتان أخريان هما «دور الحكم في أمثال الهنود والعجم»، والصادح والباغم[٢٨].

ونجد بعض الشعراء الذين نظموا للأطفال فيما بعد استوحوا بعض حكايات كليلة ودمنة، وتصرفوا بها تصرفا ضيع معالمها الأصلية.

٣ ـ الأدب الأجنبي :

أشهر من حكى الحكايات على ألسنة الحيوان في الآداب القديمة إيسوب اليوناني، الذي مر ذكره لدي حديثنا عن رواد الحكايات الشعرية الأوائل، ولم تكن حكاياته موجهة إلى الأطفال في الأصل، لكن قصرها وسهولتها ومغزاها العميق أغرى كثيرا من الناشرين الغربيين بنشرها في كتب مصورة أو غير مصورة.

وأشهر من نظم حكايات شعرية على ألسنة الحيوان من الغربيين ميرى دي فرانس Marie de France التي نقلت إلى الشعر الفرنسي مجموعة من الخرافات، ترجمها هنري الأول ملك انجلترا عن اللاتينية إلى االأنجلوسكسونية، كما أهتم بها مارتن لوثر Martin Luther (-١٥٤٦م) وهو مؤسس المذهب البروتستنتي في ألمانية. وقد رأى في هذا النوع من الحكايات خير مرشد إلى الفضائل، فنظم مائة حكاية بنصيحة من البابا[٢٩].

والشاعر الذي ترتبط حكايات الحيوان باسمه هو لافونتين (-١٦٩٥م)، وقد نظم كثيرا من الحكايات المستوحاة من إيسوب، وكليلة ودمنة.

ولكن يبقى شارلز بيرو صاحب «حكايات أمى الإوزة» أشهر من جميع الحكايات الشعبية، وربطها بالشعر والنغم، ويعد أول من كتب للأطفال في العصر الحديث[٣٠].

أما بالنسبة لشعراء الوطن العربي، فقد ظهر محمد عثمان جلال وأحمد شوقي، وغيرهم، وهؤلاء قد تأثروا بلافونتين ولكنهم تصرفوا في هذه الحكايات بما يتلاءم واللغة

العربية والإيقاع الشعري، فلم يسقطوا في مساوىء الترجمة الحرفية. وقد اعترف بعضهم بأن لافونتين كان المصدر الأول لحكاياتهم على سبيل الأمانة العلمية[٣١].

وحين ازدهرت الترجمة في الآونة الأخيرة عن اللغات الأجنبية الأخرى ظهرت بعض الحكايات الشعرية المترجمة عن الروسية أو المجرية، ومن أبرز من استفاد من هذه الحكايات عبد العليم القباني، الذي ألف كتابا بعنوان «قصائد من حديقة الحيوان» وضمنه حكايات شعرية مقتبسة عن اللغات الأجنبية.

المحـور الرابـع

أهداف الشعر القصصي للأطفال

من خلال استعراضنا لمجمل الحكايات الشعرية المنظومة للأطفال، نلاحظ أنها تهدف إلى تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ **أهداف خلقية** : فبعض الحكايات «يحث على الأخذ بالمثل والفضائل الإنسانية، التي تتمثل بالوفاء والصدق والاستقامة والتعاون والتعاطف، وتنهى عن الرذائل التي تتمثل بالغدر والخيانة والكذب والنميمة والغش والخداع، إلى غير ذلك.

٢ ـ **أهداف تعليمية** : فالحكايات قد تتضمن حكاية تاريخية أو دينية قديمة، أو تحتوي على بعض المعلومات عن الحيوان والنبات والطبيعة، وقد تكون منظومة لتعليم حرف من الحروف، أو قاعدة من القواعد النحوية[٣٢].

٣ ـ **أهداف ترفيهية** : فقد تكون الحكاية للترفيه والدعابة حتى تروح عن الأطفال، فيضحكون مما جرى أو يقلدون بعض شخصيات الحكاية، فيكون من ذلك متعة أي متعة[٢].

والشعراء الذين نظموا هذه الحكايات يعرفون سلفا ما تهدف إليه، فقد أوضح إبراهيم العرب في مقدمة كتابه «آداب العرب» أنه نظم حكاياته لنابتة الوطن المحبوب، ليأخذوا منها ما يربي أنفسهم وأخلاقهم، ويطبعها على أصول آراء المتقدمين، وكذلك فعل شوقي في مقدمته، فقال : وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب

من خلالها على قدر عقولهم، وأشار محمد عثمان جلال إلى أن كل ما قيل عن البهائم في حكاياته مقصده التعليم لابن آدم.

ويقول د. إبراهيم محمد صبيح، في كتابه «الطفولة في الشعر العربي الحديث»[٣٣]

«استندت المنظومة الخرافية والأسطورية في الوطن العربي العريق بقيمه وتقاليده على قيم منها»:

أولا : الصراع بين الخير والشر، وتغليب الأول على الثاني في النهاية.

ثانيا : السحرة والجان في مفهوم القصة العربية، مخلوقات لها وجود كالوجود البشري، مع فارق القوة الخارقة، والأفعال المعجزة، وذلك كله راجع إلى القدرة الإلهية.

ثالثا : الإيمان المطلق لدى الشاعر باليوم الآخر والجنة والنار والحساب والعقاب، فهذا كله هاجس أساسي مهم، يشغل ذهن الشاعر... بل إنه هاجس مركزي يحدد العلاقة بين الخالق والمخلوق مع التأكيد على خضوع الإنسان للإرادة العليا، وعجزه حيالها.

رابعا : الأسطورة والخرافة في ذهن الشاعر العربي جائزة، بحيث لا تتعارض مع الإيمان بالله وبوحدانية وبهيمنته على العالم كله، والتأكيد على أن الإنسان وعمله وجهده وتصرفاته كافة وسكناته محكومة بذلك التخطيط الأعلى، وأن لا مناص للإنسان في تسليم أمره لله.

وباختصار فإن التوجه الشرقي العربي في الحكايات الخرافية روحاني ما ورائي، يعكس مفاهيم المجتمع بجلاء».

وما قاله د. إبراهيم صبيح عن القيم السائدة ينطبق أكثر ما ينطبق على الشعراء الرواد، غير أن هناك قيما كثيرة أخرى ألح عليها الشعراء المحدثون ولا سيما القيم الوطنية، وهي قيم نابعة من أحداث البلدان العربية التي قارعت الاحتلال. وهنالك قيم جمالية مستمدة من الطبيعة، وتبدو واضحة لدى الشعراء المعاصرين، ولا سيما في سوريا والعراق أمثال سليمان العيسى، وحاتم سكر وفاروق سلوم، وفاروق يوسف، وعبدالرزاق عبدالواحد.

المحـــور الخامـس
مختارات من الحكايات الشعرية للدراسة

دواعي الأختيار :

انطلقنا في اختيارنا هذه النماذج من مبدأ التنوع، فراعينا أن تكون لشعراء قدماء ومحدثين. وأن تكون متنوعة الصياغة، فهناك الصيغة التقليدية التي يتزعمها شوقي، والصيغة التي تعتمد شعر التفعيلة، والصيغة التي تتوسط بينهما. وراعينا أن تكون متنوعة الموضوعات فهناك : حب الوطن، والقسمة الضيزى (غير العادلة)، والعبث بالشجر، وحب القرآن الكريم والإقبال على حفظه، والنضال في سبيل استعادة الحق السليب.

وفي مجال الشخصيات راعينا التنوع أيضا :

ففي «الوطن» هناك حمامتان وريح، عنصران من الحيوان الطير وعنصر من الطبيعة، وفي «قسمة الأسد» أربع شخصيات هي الأسد، والثعلب، والذئب والكلب، وهي شخصيات حيوانية أرضية. وفي «الشجرة تموت» هناك شجرة وطفل عنصر من الطبيعة النباتية، وعنصر بشري. وفي «القرآن» هناك طفل وجد عنصران بشريان. وفي «سوار شعلة» الشاعر والطفلة «شعلة» وأمها، التي ورت لها الحكاية، وهاني الشاب المناضل. والشخصيات جميعها إنسانية بشرية.

وكذلك تنوعت البيئة في كل حكاية تبعا لمضمونها وشخصياتها وأحداثها وقد حرصنا على أن تكون هذه النماذج مما لم يستشهد به في ثنايا البحث، حتى لا يكون تكرارا.

الإضاءات :

الإضاءات :

فضلنا أن نوضح هذه النماذج بإلقاء إضاءات على جوانبها، فتؤلف هذه الإضاءات بمجموعها دراسة أو مايشبه الدراسة، ولم نتبع الأسلوب التقليدي في الدراسة، مع علمنا أن هذا وذاك يوصلنا إلى نتائج متشابهة، إن لم تكن متماثلة. لكننا نرى أن التجديد في التناول أمر مرغوب فيه.

وقد أوردنا النصوص كاملة غير منقوصة في البداية، حرصا على الإلمام بها إلماما شاملا، ولم نلجأ إلى تقسيم النص وقطعه بالرواية والتعليق كما هي الحال في الدراسات الشائعة، فذلك أسلوب اعتمدناه لأننا وجدناه الأفضل.

الوطن

لأحمد شوقي[٣٤]

عصفورتنـــــا في الحجـــــا ... زحلتـــــا علـى فنـــــن
في خامـــــل من الريـــــا ... ض لانـــدٍ ولاحســـــن
بينـــــا هما تنتجيـــــا ... ن سحـرا علـى الغصـــــن
مـر علـى أيكهمـــــا ... ريـــــح سـرى مـن اليمـــــن
حيـــــا وقـال : درتـــــا ... ن في وعـــــاء ممتهـــــن
لقـد رأيـــــت حـول صنعـــــاء وفي ظـــــل عـــــدن
خمائـــــلا كأنهـــــا ... بقيـــــة من ذي يـــــزن
الحـــــب فيهـــــا سكـــــر ... والمـــــاء شهـــــد ولبـــــن
لـــــم يرهـــــا الطيـــــر ولـم ... يسـمـع بهـا بهـا الا أفـتـتـن
هيـــــا اركبانـــــي نأتهـــــا ... في ساعـــــة من الزمـــــن
قالـــــت لـه إحداهمـــــا ... والطيـــــر منهـــــن الفطـــــن :
يـا ريـــــح أنـــــت ابـن السـبيل ما عرفـــــت مـا السكـــــن
هـــــب جنـــــة الخلـــــد اليمـــــن ... لا شـــــيء يعـــــدل الوطـــــن

إضاءات على النص :

إضاءة (١) :

الشخصيـات : عصفورتان وريح
البيئة المكانيـة : روضة خاملة في الحجاز
البيئة الزمانية : وقـت السحـــر
المغـــزى : لا شيء يعدل الوطن

إضاءة (٢) : هذه العناصر في الحكاية تؤلف صورة جميلة، فيها عصفورتان تتناجيان على غصن في روضة يابسة فقيرة، فتأتي الريح تغريهما بالانتقال إلى اليمن بلاد العرب السعيدة، حيث الحب والماء والمنظر الحسن، وكل ما يعجب الطير ويغريه بالمقام فيها. غير أن العصفورتين ردتا الريح ردا جميلا، وانبرت لها إحداهما تقول :

أنت لا تعرفين معنى الوطن؛ لأنك مسافرة دائما، ونحن لا نغادر إلى اليمن، ولو كانت جنة الخلد.

إضاءة (٣) : وفق أحمد شوقي في اختيار شخصيات حكايته، فالعصافير مما يحبه الأطفال. وعلى الرغم من أن انتقال العصافير من مكان إلى آخر أمر مألوف، فإن هاتين العصفورتين لا تريدان الهجرة والانتقال، وهما قانعتان بما قسم لهما في الحجاز. إنهما تمثلان المتشبث بالوطن الراضي بمره قبل حلوه، وهما في هذا أمثولة رائعة للطفل، فهما قادرتان على الطيران وتأبيان مفارقة الوطن. والريح رائحة غادية لا تستقر في مكان، فكان من الطبيعي ألا تعي مفهوم الوطن، فقامت بدور من يحمل أخبار العالم، ويغري بالهجرة. وقد أجاد الشاعر إدارة الحوار بين الشخصيات بما يلائمها.

وقد وفق الشاعر كذلك باختيار المكان والزمان.

إضاءة (٤): وزن الحكاية من مجزوء الرجز، وهو «مستفعلن مستفعلن، في كل شطر»، وهذا البحر يركبه الشعراء كثيرا لخفته وسهولته، والقافية حافلة بالموسيقا لاختيار النون الساكنة.

إضاءة (٥) : استخدم الشاعر عددا من الألفاظ لا تقع ضمن مألوف الطفل وهي : فنن، ند، تنتجيان، أيكهما، سرى، ممتهن، ذي يزن، شهد، الفطن، ابن السبيل، هب.

حتى اذا فسرت له اتضح المعنى فلا يكون غموض.
واستخدم من التراكيب ما هو فوق مستوى الطفل مثل :
في خامل من الرياض، بيناهما تنتجيان، درتان في وعاء ممتهن، لم يرها الطير، ولم يسمع بها إلا افتتن.

إضاءة (٦) : أجاز الشاعر لنفسه تذكير الريح وحقها التأنيث. وصرف «خمائلا» والصرف في الشعر جائز.

إضاءة (٧) : يصل المغزى إلى الطفل دون كبير شرح، في الشطر الأخير من الحكاية يحمل عبء الحكاية كلها. واختيار الشاعر هذا الموقف للتعبير عن التمسك بالوطن موفق غاية التوفيق، فحب الوطن قيمة كبرى، لا بد من غرسها في

نفس الطفل، حتى يشب وحب وطنه يملأ كيانه، فيكون فيه عضوا منتجا لايبرحه، ولو توالت عليه الحادثات والنكبات.

إضاءة (٨) : قد يرى البعض أن الشاعر لم يوفق حين اختار بيئة الحجاز وبيئة اليمن، فهما تقعان في الوطن العربي وهو وطن واحد. والحق أن هذه الرؤية قد يكون فيها شيء من المبالغة، فالوطن الواحد نفسه يهاجر الناس فيه من مكان جدب إلى مكان خصب، وعلى ذلك نشأ البدو الرحل، وعلى ذلك يهاجر العرب اليوم من البلدان المحدودة الرزق إلى البلدان العربية الغنية، وليس في هذا ما يقدح بوطنية المهاجر. غير أن مسقط الرأس يظل الوطن الأول لكل إنسان وإليه غالبا يعود. واختيار شوقي البيئتين ليس جديدا فالناس منذ القدم يعرفون بلاد اليمن.

قسمة الأسد

عبدالعليم القباني[٣٥]

الفكرة للشاعر الروسي «كريلوف» (١٧٦٩ - ١٨٤٢م)

لا تسلني ما مكان الصدق في هذي الحكاية
هكذا قيل لنا فصدقنا الرواية
لا تسلني ربما كانت رموزا في النهاية
لا تسلني كيف أن الذئب بالكلب احتفى
ورأى الثعلب ليثا يصطفيه فاصطفى
كيف عاش الكل في ظل وئام وصفا
قيل إن الجمع قال : الكسب من حق الجميع
فمضى الثعلب والذئب وغابا في قطيع
أتيا منه بشاة لم تنل خير الربيع
لم تكن تكفي ولكن لقمة العدل كفاية
فلتقسم أيها الليث تولتك العناية
قالها الكلب وفي عينيه شوق للبداية
وبدا الليث كما شاؤوا بتقسيم الغنيمة
قال هذا الربع من حقي فذا شرط الغنيمة

ولـي الربـــــــع لأنـــــــي فوقكـــــم قـــــدرا وقيمـــــة
ولأنـــــي قمـــــت بالتقسيـــــم لـي ربـــــــع الضيافـــــــة
ولأنـــــي لســـــت أخشاكـــــم فلـــــي ربـــــع اضافـــــة
ولأنـــــــي . . . فـإذا هـم فـي فـم الريـــــــح . . مخافـــــــه

إضاءة (١) : الشخصيات : الراوي، الذئب، الكلب، الثعلب، الأسد.
البيئة المكانية : الغابة تقديرا.
البيئة الزمانية : مجهولة.
المغزى : الحق للقوة.

إضاءة (٢) : يقدم الراوي للحكاية بثلاثة أبيات، ثم يحكي عن صداقة نشأت بين ذئب وكلب وأسد وثعلب، وفي يوم خرج الثعلب والذئب فجاءا بشاة ضعيفة من قطيع ليأكلها الجميع. فوضعاها بين يدي الأسد، بوصفه ملك الغابة، ليقسمها بينهم بالعدل. وقسم الأسد الشاة أربعة أقسام. وأخذ الربع الأول لأنه حقه في القسمة، وأخذ الربع الثاني لأنه الرئيس، وأخذ الربع الثالث لأنه قام بالتقسيم، وأخذ الربع الرابع لأنه لا يخشى أحدا. وحين أراد أن يضيف سببا آخر هرب الجميع من وجهه إيثارا للسلامة.

إضاءة (٣) : الحكاية من عالم الحيوان، كما جرت العادة في الحكايات الشعرية للأطفال، وهي مترجمة عن الروسية بتصرف. والشخصيات فيها غير معمقة الملامح، فالكلب والذئب والثعلب فقدوا ملامحهم التقليدية، فليس هنالك وفاء أو مكر أو شراسة.

غير أن الأسد بتصرفه بالشاة على هذا النحو كان أوضحهم ملامح، فهو ملك الغابة الذي يتصرف على هواه، وليس لأحد أن يعترض. ورهبته في النفوس مستمدة من قوته وقدرته.

إضاءة (٤) : اعتمد الشاعر في صياغة الحكايات على الثلاثية الشعرية، فكل ثلاثة أبيات في قافية واحدة. واختار الشاعر وزن الحكاية من مجزوء الرمل، ووزنه. (فاعلاتن) أربع مرات في كل بيت.

بعض الألفاظ كانت تحتاج تفسيرا منها : احتفى، وئام، تولتك.

ومن التراكيب ما يحتاج تفسيراً مثل : سيصطفيه يصطفيه، لم تنل خير الربيع، لقمة العدل كفاية.

غير أن ألفاظ الحكاية بوجه عام تتسم بالسهولة.

وإذا وازنا بين هذه الحكاية وحكايات أحمد شوقي التي تدور حول الحيوانات أيضا فإننا نلمح ضعفا في الصياغة بالقياس إلى صياغة أحمد شوقي.

فالمقدمة التي استغرقت ثلاثة أبيات غير مثيرة ولا تضيف شيئا، وبداية الحكاية بكلمة «لا تسلني» لا تشوق السامع إلى المتابعة.

إضاءة (٥) : مغزى الحكاية يصل إلى الطفل، وهو أن الحق للقوي، لكن هذا الحق مبني على الظلم، وليس فيه شيء من العدالة، وهو يتناقض مع المقولة التي اتفق الأصدقاء الأربعة عليها وهي : الكسب من حق الجميع. وهذا يعني أن كل من يكسب شيئا يتقاسمه مع الآخرين. ولدي التطبيق رأينا أن الذئب والثعلب حصلا على الشاة لكن الأسد اصطنع منطقا أعوج في التقسيم، حتى اصطفى الشاة لنفسه، ولم يكن لأحد أن يحتج على ذلك، والأسد يلوح بتهديد من يعترض. فآثر الجميع الهرب على المواجهة.

إن مثل هذا المنطق لا يقبله الطفل، وإذا كان سيرسل ضحكة ساخرة حين هرب الجميع من وجه الأسد، فإنه في داخله سيدين الأسد؛ لأنه خالف ما اتفق عليه من مبدأ، ولأنه أجهز على العدالة في تصرفه المشين.

ولكن لابد من مساعدة الطفل على أن يخرج بهذه النتيجة، ولا بد من إثارته إلى إيجاد حل آخر غير الهرب. ترى هل يكون بتجميع المظلومين، والقضاء على الظالم؟.

إضاءة (٦) : هذه الحكاية تشبه حكاية «الليث وصاحباه» للشاعر الكويتي أحمد المشاري ومطلعها :

في غـايـة كـثيـفـة الأشـجـار مـليئـة بـالـوحش والأطـيـار
قـد خرج الليث العـظيم الشـأن يصحبـه للصيـد صـاحبـاه
وكـان صـاحبيـه في المـواطب الـذئب والثـعلب ذو المـقـالب
حتى اذا جـابـوا خـلال الغـابـه بهجمـة في الليـل بعـد هجمـه
عـادوا يجـرحـون صيـدا طيبـا حمـارة وظـبـيـة وأرنـبـا

وحين يخفق الذئب في اقتراح القسمة يقترح الثعلب الماكر القسمة التي ترضى الأسد :

تنحنح الثعلب وهو الماكر وهو بما يقوله يعاذر
دمت لك الحمار للغداء وبعده الغزال للعشاء
وبعد ذلك الأرنب الصغير لسيدي ومالكي فطور

وهذه الحكاية أقرب الى حكايات أحمد شوقي من حكاية القباني، وأكثر تفصيلا وأعمق غورا في رسم الشخصيات.

الشجرة تموت.

لعبد القادر أحمد

في حارتنا كانت شجرة نجني منها أحلى ثمرة
في الصيف لها ظل وافر يمنع عنا اللهب القاهر
ولها ثمر نضر يزهو إذ نأكله يحلو يحلو
ولها زهر عطر يحنو كالأم اذا مال الغصن المائل
وأتى يوما ولد جاهل حطم منها العفن المائل
فبكت حتى ماتت عطشى صارت حطبا ينثر قشا
لا تقطع يا ولدي غصنا فتموت الأم له حزنا
ويموت الزهر مع الفرح ويعيش الطفل بلا مرح
وتعود إلينا الصحراء لازرع فيها لا ماء
لازهر يضحك لاثمر لا حسن يلقاه النظر

إضاءة (١) : الشخصيات : الشجرة، الولد الجاهل، الشاعر الناصح.
البيئة المكانية : حارة في بلدة.
البيئة الزمانية : مجهولة.
المغزى : العناية بالشجر والحفاظ عليه.

إضاءة (٢) : منذ البداية يحدثنا الشاعر عن شجرة مثمرة في حارتهم تزهر وتثمر وتظل الناس بظلها الوافر. ويأتي أحد الأولاد فيكسر أحد أعضائها فتحزن الشجرة لذلك وتموت وتصبح حطبا. ثم يتوجه الشاعر بالنصح للأولاد ألا

يقطعوا الأغصان حتى تبقى الأشجار حية نضرة، فإذا فعلوا فإن الخضرة تنعدم وتتحول الجنان إلى صحراء.

إضاءة (٣) : على الرغم من أن هذه الحكاية رمزية فإنها لا تنسجم مع العلوم الزراعية، فتحطم غصن من شجرة لا يؤدي إلى يبوستها وموتها، كما أن وفاة طفل لا يؤدي إلى وفاة أمة بالضرورة. ولو أن النتيجة كانت فقدان الزهر والثمر من ذلك الغصن المحطم لكان ذلك أكثر انسجاما مع المنطق.

والشخصيات في هذه الحكاية طفل معتد وشجرة معتدى عليها بلا جريرة. والمعتدى لم يلق جزاءه على الرغم من أنه كان سببا في موت شجرة في ظن الشاعر. وكل ما لقي من الشاعر نصح رفيق ليس فيه قسوة.

إضاءة (٤) : الحكاية مصوغة على نظام البيت الواحد المصرع الذي تكون قافية شطره الأول كقافية شطره الثاني، ووزنها من بحر المتدارك أو الخبب، كما يسمونه ووزنه (فعلن) ثماني مرات في البيت الواحد. وهو وزن خفيف مرقص يصلح لشعر الأطفال.

وتنويع القافية بيتا بعد بيت مما هو مألوف في شعر الأطفال لأنه ينوع الموسيقا ومحطات النغم. وفي الحكاية ألفاظ لم تأت في موضعها المناسب مثل : القاهر صفة للهب، وينثر قشا. فالقاهر وقشا كلمتان اقتضتهما القافية لا أكثر.

وهنالك بيت مقحم لا معنى له، وهو :

ويموت الزهر من الفرح ويعيش الطفل بلا مرح

فالبيت لا يحمل المعنى الجمالي للزهر، وأثره في النفوس بالقدر الذي أراده الشاعر.

إضاءة (٥) : مغزى الحكاية يتركز في الحفاظ على الشجر من عبث الأولاد، وهذا المغزى يصل إلى الطفل على نحو مباشر دون لجوء إلى رمز أو إيحاء. ويرى بعض المربين أن مثل هذا النصح المباشر فعال عند بعض الأطفال، وغير فعال عند المبدعين منهم، لأن هؤلاء تكفيهم الإشارة لتصل إليهم الرسالة المقصودة.

القرآن

فؤاد بدوي[٣٦]

لما كنت صغيرا	القرآن النور
كنت ألاحظ جدي	تنزيل الرحمن
يقرأ في القرآن	والقرآن سرور
ينظر فيه كثيرا	وربيع الإنسان
وأنا أنظر جدي	مافرط في شيء
يدعو يا رحمن	ألقى كل الضوء
وتمر الأيام	في طرق الانسان
أخطر في الأعوام	والقرآن شفاء
يوما أسال جدي	والقرآن دعاء
ماسر القرآن؟	
قال الشيخ الطيب	أحببت القرآن
يا أغلى الأحفاد	والقرآن صلاة
أنت غلام طيب	والقرآن حياة
من صلب الأجداد	وحفظت القرآن

إضاءة (١) : الشخصيات : الطفل، الجد.
البيئة المكانية : المنزل تقديرا.
البيئة الزمنية : مجهولة.
المغزى : الحث على حفظ القرآن الكريم، لأنه كتاب الحياة الكاملة.

إضاءة (٢) : يروي الشاعر الحكاية عن نفسه، فقد كان وهو صغير يلاحظ جده وهو يقرأ القرآن الكريم، ويدعو الله تعالى ببعض الأدعية. وبعد أن كبر وأصبح في سن السؤال، سأل جده عن القرآن الكريم، فأجابه جده عن ذلك بتعداد ميزات القرآن وما فيه من حكمة وتوجيه في الحياة الدنيا والآخرة، فأحب القرآن وأخذ يحفظه ويتلوه في صلاته، ويعمل بتعاليمه في حياته.

إضاءة (٣) : هذا النوع من الحكايات يندرج في باب الحكايات التعليمية الدينية. وهو

أبسط الأنواع، فالشخصيات بسيطة، والحدث بسيط، والحكاية هنا لا تعدو أن تكون حوارا بين اثنين.
واختيار الجد هنا اختيار تقليدي، فهو يمثل النضج من جهة، والقرب من حفدائه من جهة أخرى، والحوار بين الجد والحفيد قديم.

والقرآن الكريم يتميز بالحكمة والعمق والشمول، وعلى ذلك، فإن فهمه ليس في مستوى الطفل الصغير، ولكن بعض المربين يرون ان حفظ الطفل القرآن الكريم أو بعض سور منه، ولو على غير فهم، ينمي عنده الفصاحة والحس اللغوي السليم، الذي يرافقه بقية عمره. والمحفوظ غير المفهوم في الطفولة يمكن فهمه مع التقدم في مدارج العمر، وهناك رأي آخر.

إضاءة (٤) : هذه الحكاية الشعرية منظومة على غير نظام، وهي أقرب الى شعر التفعلية. فالقوافي هنا موزعة وفق المعنى، ملتزمة وغير ملتزمة. والحكاية من وزن المتدارك وهو (فعلن) مكررة بحسب الحاجة.

والألفاظ عموما سهلة قريبة المتناول ليس فيها عويض. غير أن الشاعر كتب (الرحمن) بلا ألف وحقها في غير القرآن الكريم أن تكون بألف هكذا (الرحمان)، كذلك جمع (حفيد) على (أحفاد)، وهو الجمع الدارج على الألسنة والأفضل (حفداء وحفدة).

إضاءة (٥) : مغزى الحكاية لا يخفي على الطفل، فهو حث على أن يحفظ القرآن الكريم لما فيه من قيم وحكم وتعاليم لا يضل المرء معها أبدا. وقد اتخذ الشاعر جده قدوة فحفظ القرآن، والطفل الذي سيقرأ الحكاية سيتخذ من الشاعر وجده قدوة وقد يحفظ القرآن، فالمغزى هنا مؤثر ومحفز عن طريق القدوة والمثيل.

سوار شعلة

سليمان العيسى[٣٧]

سمراء من بغداد
صغيرة، واسعة العينين
من شمس بغداد على الخدين
عبير قبلتين. . .

الطفلة التي تغني الآن، يا أولاد
سمراء من بغداد
قد حملتني للصغيرات، وللصغار
في الشام، في لبنان

في القدس، في عمان
في أخضر السهول، في القفار
في البر والبحار
في كل بيت عطرته مثلها الأزهار
تحية، وقبلة
نقية.. كأمسيات دجلة
رقيقة... كخصلة
من شعرها الجميل
أنشودة النخيل
تحية، وقبلة
قد حملتني شعلة
وشعلة السمراء، يا صغار
في يدها سوار
لو تعرفون قصة السوار!
جذابة.. كأغرب الأسفار
رائعة.. كأجمل الأشعار
إني سأرويها لكم في هذه السطور
كما روتها شعلة، وصوتها يمور
بالزهو، بالسرور
بكبرياء الحب، بالإباء
باسم الفدائيين، والفداء
إني سأرويها لكم، يا أيها الصغار
حكاية السوار، باختصار:

* * *

في ذات يوم... قبل أن تنام
وترتمي شعلة في
أرجوحة الأحلام
قصت عليها أمها حكاية المساء
حنت على سريرها المضفور بالضياء:
كان لنا، يا حلوتي،
فوق ربا الجليل
بيت، وبستان، وظل وارف ظليل
كان لنا جيران
وقرية، تمور بالألوان
بالماء، بالأطيار، بالشجر
وبالصغار يقلقون الليل بالسمر
ويقطفون كلما تواثبوا القمر

* * *

وذات يوم غارت القرية في الضباب
طوقها الرصاص، والدخان، والذئاب
ورحل الشيوخ والشباب
والصبية الصغار، والأقمار
وانطفأت في الباحة الأسمار
وصار بيت جدك الحبيب
يحتله مستوطن غريب

* * *

ومرت الأعوام
سوداء كالظلام
قد نبتت من صخرة الشقاء
يا حلوتي زنبقة الفداء

* * *

إلى البندقية!
تنادي الرجال
وفي كل شبر
بدأنا القتال

* * *

وأقسم هاني
بحد السلاح

ليسترجعن التراب المباح
ومن كل قرية
بلون العقيق
سيصنع يوما
سوارا أنيق
يقدمه لزنود الصغار
زغاريد عيد، هدايا انتصار

* * *

وأغمضت شعلة جفنيها على السوار
وفيه بيت جدها. . . يحمله الثوار
هدية لها
تخلب عقلها
واستسلمت شعلة للرقاد
تحلم بالسوار، يا أولاد !

* * *

وعندما تنفس الصباح
صباح بغداد الندي
في خدها المورد
تلمست شقيقة الأقاح
في زندها الرشيق
سوارها الأنيق
وفوقه جنينة ، ودار
تضحك للربيع، يا صغار

سوار شعلة

إضاءة (١) : الشخصيات : الشاعر، أم شعلة، الطفلة شعلة.
البيئة المكانية : بغداد ـ الجليل بفلسطين.
البيئة الزمانية : مساء أحد الأيام.
المغزى : استعادة الأرض المغتصبة لا يكون إلا بالمقاومة والنضال.

إضاءة (٢) : يحمل الشاعر في المقدمة تحية الطفلة سوار إلى أطفال العرب في كل مكان، وينقل عنها حكاية حكتها لها أمها قبل أن تنام ذات ليلة، عن قريتهم في الجليل، التي اغتصبها الصهاينة، وهب العرب المدافعون عن أرضهم يقاتلون المغتصبين ليسترجعوا أرضهم السليبة، ويقسم هاني، وهو شاب مناضل، إنه سيصنع سوارا بلون العقيق للصغار هدايا انتصار. واستسلمت شعلة للنوم، وهي تحلم بذلك السوار، وحين صحت في الصباح تلمست بزندها السوار الموعود مأخوذة بروعة الحلم.

إضاءة (٣) : ليست هذه الحكاية كتلك الحكايات التقليدية التي نظمها عثمان جلال وشوقي، والهراوي، ومن دار في فلكهم. وإنما هي حكاية جديدة، مستوحاة من واقع المأساة الفلسطينية، ومأساة العرب، بطلتها طفلة

مشردة، تنتظر العودة إلى وطنها في الجليل، في مدينة عربية ذات ماض عريق، وحاضر يحفل بالنضال، من خلال حلم كبير يعد بالنصر، وقد اختار الشاعر للطفلة اسم شعلة؛ ليعبر بها عن شعلة النضال.

إضاءة (٤) : استعرضت الحكاية عددا من الصفحات فجاءت طويلة بعض الشيء، لكنها مبنية بناء محكما، فهنالك مقدمة رسم فيها الشاعر الجو العام للحكاية، وهو جو عربي قومي ينضح بالنضال، ولما كانت الحكاية مما يلذ للطفل وينام عليه، فقد روت الأم لابنتها حكاية الماضي الجميل في القرية الوادعة، وحدثتها عن الصغار هناك، كيف كانوا يلعبون ويسمرون حتى جاء المغتصب، فأحاول القرية إلى خراب، وقتلى، وجرحى، ومشردين. ثم يأتي فصل النضال.. والقسم بالعودة إلى الأرض، والحلم الجميل الذي حلمت به شعلة.

إضاءة (٥) : لم ينظم الشاعر الحكاية نظما تقليديا، وإنما اختار نظام التفعلية، وهو النظام الذي شاع بين الشعراء منذ الخمسينيات. والحكاية مزيج من بحرين : البحر السريع، ووزنه (مستفعلن مستفعلن فعلن)، والمتقارب ووزنه (فعولن) ثماني مرات. وقد جاء أحد الأبيات مختلا في أوله، وبإضافة «قد» بدلا من الواو يستقيم الوزن، وهو : (ونبتت من صخرة الشقاء) وقد لون الشاعر القافية ونوعها، ثم حط في النهاية على الراء الساكنة.

إضاءة (٦) : ألفاظ الشاعر في الحكاية ألفاظ شاعر متمكن، وهي مفهومة في مجملها. وبعضها يحتاج تفسيرا مثل : عبير، القفار، يمور، الزهور، الكبرياء، الآباء، الفداء، الجليل، تنادي، المباح، العقيق، أنيق، الرقاد، الأقاح. وقد فسرها الشاعر في الهامش بديوانه.

وهنالك صور موحية تأتي من عناق الألفاظ وتركيبها، وتفسيرها يفسدها، والأفضل أن تبقى بلا شرح، مثل : عبير قبلتين، نقية كأمسيات دجلة، من شعرها الجميل أنشودة النخيل، أرجوحة الأحلام، سريرها المضفور بالضياء، قرية تمور بالألوان، غارت القرية في الضباب، وانطفأت في الباحة الأسمار. زغاريد عيد، تنفس الصباح، جنينة تضحك للربيع.

ثم هنالك النهاية الرمزية الشفافة التي تجعل السوار العقيقي حلما واقعا.

إضاءة (٧) : إن طول الحكاية وغموض بعض الألفاظ والتراكيب، يرشحان هذه الحكاية للفتيان بعد العاشرة، فهم أقدر على قراءتها واستيعابها من الأطفال الأصغر سنا.

وعلى الرغم من كل ذلك إلا أننا لا نعلم، إذا كان هؤلاء الفتيان سيقبلون على هذا النوع من الحكايات؟ فهو نمط جديد، يحتاج أن تتبناه المؤسسات التربوية حتى يعتاده الأطفال، فيذيع بعد ذلك، وينتشر.

ومعظم حكايات شعراء الأرض المحتلة الموجهة إلى الأطفال نابعة من قلب المأساة، وتنحو هذا النحو إن لم تكن أكثر رمزية في بعض الأحيان.

وسليمان العيسى نفسه صاحب هذه الحكاية له موقف واضح من شعر الأطفال والحكايات الشعرية الموجهة إليهم وهو موقف عربي نضالي، فيه تبشير دائم بالوحدة التي تجمع العرب، وفيه اعتزاز كبير بهذه الأمة التي كانت في يوم من الأيام أمة حضارة التي ملكت الشرق والغرب معا.

إضاءة (٨) : مغزى الحكاية هو القيمة النضالية التي يحرص الشاعر على غرسها في نفوس الناشئة، وهي قيمة مستمدة من الواقع الذي تعيشه الأمة العربية، فلا نصر يتحقق الا بالنضال وحد السلاح، فما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة. إذا كان هذا قدرنا نحن الكبار، فهو قدر الأطفال أيضا الذين سيتسلمون الراية في المستقبل، وسيناضلون كما ناضل آباؤهم وأجدادهم، وليس عليهم أن يستسلموا، فالاستسلام نهاية العرب.

وإذا كان الشاعر قد عبر عن النصر بذلك السوار العقيقي الذي زين زنود الصغار، فما ذلك السوار إلا رمز لدماء الشهداء، معقودة في أساور من عقيق.

المحور السادس
مستخلصات ونتائج

من دراستنا المتأنية لشعر الأطفال نستطيع أن نستخلص ما يلي :

أولا : يجب أن نفرق بداية بين الحكاية الشعرية، التي كتبت للطفل على سبيل غرس القيم أو التعلم أو الترفيه، ومبدأ الحكاية الشعرية التي يذكر فيها الطفل، لكنها

ليست موجهة إليه، ومثل ذلك قصيدة الرافعي التي سماها «ليلة الساهر» وفيها يصف ليلة سهرها إلى جانب طفله ومطلعها :

يـا ليلة عـطل فيهـا المـدار ظـلامهـا فحم وفي القلب نـار

وشهبها طائرة كالشرار

ويحي متى يطفيك نهر النهار

فهذه قصيدة وجدانية، يقرؤها الكبار فيكبرون العاطفة الأبوية الجياشة لدى الرافعي، ولكنها عسيرة على الصغار كل العسر، وليست موجهة إليهم أصلا.

ومثل ذلك حكاية «الطفلة البويرية أدماء» لشاعر القطرين خليل مطران فهي حكاية تحمل مأساة الحروب من خلال حرب بريطانية والبوير. وهي للكبار وليست للصغار. وما أكثر الحكايات من هذا النوع، وهي كلها تصور الطفولة في حال تثير العواطف لتسجيل موقف.

ثانيا : الحكايات الشعرية الموجهة إلى الأطفال ليست واحدة، فهي مستقاة من مصادر مختلفة، منها القديم، ومنها الجديد، وإذا كان ما يغلب على القديم منها طابع الخرافة، فإن الجديد منها يغلب عليه الطابع الواقعي، الذي يمس جوانب الحياة المعاصرة، ولا سيما الجانب الوطني النضالي، وقد ظهر هذا في شعر سليمان العيسى، وهارون هاشم رشيد، ومحمد الظاهر، الذي كتب حكاية شعرية عن الطفلة الشهيدة لينا النابلسي. وكذلك في شعر الأرض المحتلة مثل حنا أبو حنا في قصيدة (طفل من شعبي)، وسميح القاسم، ومحمود درويش. على أن معظم هذه الحكايات موجه إلى الكبار وليس إلى الصغار، وقليلها موجه للأطفال كما مر بنا في «سوار شعلة».

ثالثا : لم يحدد أي من الشعراء الجمهور المستهدف على وجه الدقة والتحديد، فهم حين يتوجهون إلى الأطفال بأشعارهم المختلفة، فإنهم لا يحددون المرحلة العمرية التي يتوجهون إليها. فإذا كانت خصائص نمو الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة (٣ ـ ٥ سنوات) تختلف عن خصائص نمو الأطفال في مرحلة الطفولة المتوسطة (٥ ـ ٨ سنوات) وتختلف عن خصائص نموهم في مرحلة الطفولة المتأخرة (٨ ـ ١٢ سنة) فقد كان من المفيد أن يحدد الشعراء المرحلة العمرية التي يتوجهون إليها.

رابعا : من دراستنا لمعظم الإنتاج الشعري المتوجه للأطفال من حيث الفكرة، ومستوى اللغة، وأسلوب المعالجة، لاحظنا أن الشعر الموجه للطفولة يناسب أكثر ما يناسب الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة، وأن كان الشعراء أنفسهم لم يذكروا بالتحديد أنهم يتوجهون إلى تلك المرحلة بالذات، أو إلى غيرها من المراحل العمرية، كما سبق أن ذكرنا.

خامسا : لم يكن نتاج الشعراء في الحكايات الشعرية يدل على فهم واضح للأطفال ومراحل نموهم. فهو يراوح بين الصعوبة والسهولة والغموض والوضوح ولعل ذلك يرجع إلى ثقافة الشاعر نفسه، فمعظم الشعراء ليسوا على علم بالطفولة ومراحلها وخصائصها، فهم ينظمون الحكاية وينشرونها على الناس دون معرفة حقيقية بالجمهور القارىء، فلربما توجه الشاعر بحكايته إلى جمهور الصغار، لكن أحدا من الصغار لا تقع بيده حكاية الشاعر وإذا وقعت فإنه لا يهتم بها، وتغدو الحكاية بلا جمهور.

سادسا : يغلب على الحكاية الشعرية الموجهة للصغار استخدام الشخصيات الحيوانية المختلفة من طير وحيوان، مفترس أو غير مفترس. يأتي بعد ذلك استخدام الشخصيات الآدمية، ويأتي في مقدمتها شخصية الطفل، ثم من يتصل به من أم أو أب أو جد أو أخوة، ثم تأتي عناصر الطبيعة من شمس وقمر ورياح ومطر وغيوم ونبات وجبال وأنهار وبحار.

سابعا : امتازت معظم الحكايات الشعرية بسهولة اللغة، وما ورد فيها من الفاظ تبدو من غير معجم الطفل يمكن تفسيرها، لكن المشكلة في الصور التي تتركب من ألفاظ سهلة وتبدو غامضة لدى الطفل. وهي في بعض الأحيان تغمض على الشارح نفسه، وهنا نفضل ان نقرب هذه الصور إلى ذهن الطفل بالإيحاء دون الوقوع في الشرح اللفظي، فذلك يفسدها، ولا يساعدنا على التوصل إلى مقصد الشاعر.

ثامنا : كان في معظم الحكايات الشعرية شيء من المبالغة وشيء من الخيال، وكان خيرها تلك الحكايات التي غلفت الواقع بغلالة الخيال أو غلفت الخيال بغلالة الواقع «فالطفل يتعامل مع الخيال على أساس الواقع ومن ثم ينطلق بفكره متخطيا الواقع ويسبح في عالم محكوم بمسببات ونتائج من نوع خاص. فمسائل الزمان والمكان وأحكامها، والانسان والحيوان وأحكامها لا يتمكن الطفل في مراحل الأولى من استيعابها.

تاسعا : وفي مجال القيم حرصت معظم الحكايات الشعرية على تأكيد انتصار الحق على الباطل والخير على الشر. وعالجت فيما عالجت قيم الصدق والوفاء والعدالة والإيمان والعلم والنضال، وشجعت على تبنيها. وسحرت من الظالم والمخادع والمرائي ومفشي الأسرار. كما حرصت على تسريب بعض المعلومات العلمية والتاريخية والمعاصرة دون أن تظهر عليها سمة التعليمية المباشرة.

عاشرا : ليس لنا أن نطمئن إلى أن ما كتب للأطفال من حكايات شعرية يمتعهم فيقبلون على المزيد منه، فكل ما لدينا تقديرات وفرضيات لا بد من أن يقوم عليها دليل. فنحن نعلم علم اليقين أن الحكاية تمتع الطفل، لكننا نقدر أن الحكاية الشعرية أكثر متعة؛ لأن الحكاية والشعر متعتان متوحدتان في واحدة. وهذا ما يجب أن يقوم عليه الدليل. ولنا أن نجري تجربة سهلة ترصد ردود فعل طفل قارىء تقدم إليه حكايتان واحدة نثرية والأخرى شعرية، ولننظر ماذا يختار؟ ثم تأتي المرحلة الثانية من هذه التجربة فنقرأ للطفل القارىء نفسه الحكايتين، ولننظر أيهما كانت أقرب إلى نفسه. وفي هذه المرحلة يضاف إلى التجربة عامل الإيقاع وهو عامل مهم، لا يصل من خلال القراءة الصامتة. ثم نعمم هذه التجربة بالطرائق العلمية، الأكثر دقة وموضوعية.

الخلاصة

بعد كل ما تقدم فإن «الحكاية في شعر الأطفال» بحث ذو شجون، وجهدنا في البحث يرمي إلى إثارة الموضوع في الأذهان، وتوجيه الانتباه إلى بعض الذرى البارزة فيه، وأهمها :

١ - إثارة الوعي لدى التربويين بأن يولوا هذا الموضوع اهتمامهم. فيختاروا للأطفال في مراحل سني دراستهم ما يلائمهم من هذه الحكايات لنشرها في الكتب المدرسية، على أنها لون من الأدب القصصي الممتع.

٢ - حث الشعراء، ولا سيما أولئك الذين تخصصوا بشعر الطفولة أو كادوا، على أن يبذلوا الجهد في صياغة بعض الحكايات التي تعني بالخيال العلمي مستوحي من تطبيقات التكنولوجيا الحديثة، وما يمكن أن يأتي به المستقبل، فمثل هذه الحكايات تلقي رواجا كبيرا لدى الأطفال من خلال ما نلاحظه عليهم في أثناء مشاهدتهم الأفلام التي تتصل بذلك.

٣ ـ حث الشعراء على أن يستوحوا من التراث العربي الإسلامي والعصر الحديث ما يتفق ونوازعهم نحو البطولة والمغامرة، وتمجيد الحق والعدالة، وغير ذلك من القيم.

٤ ـ تشجيع مؤسسات الطفولة العربية لدور النشر على العناية بترويج هذا النوع من الحكايات الشعرية، مع تزيينها بالرسوم، التي تجذب الطفل إليها من خلال الدعم المادي والمعنوي.

٥ ـ إجراء مسابقات سنوية لأفضل حكاية شعرية للأطفال، ضمن موضوعات محددة تحددها المؤسسات الثقافية، أو مؤسسات الطفولة العربية.

هوامـش

Paul Copperman : Taking books to heart (how to develop a love of Reading in your child) : Addison - Wesley publishing Company Inc, Reading, England 1986, P.P. 51 : 52

(١) سورة «يوسف»، الآية رقم (٣).

(2) Bernand J. Lonsdale and Helen Mackintosh, Chidran Experience Literature. New York, Random House, 1973, P.206

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر من قبيلة كندة قتل ابوه فأقسم أن يثأر له واستعان بقبائل العرب فخذلوه فتوجه إلى قيصر الروم ليستعين به على قتلة أبيه (٥٠٠ ـ ٥٤٠م).

(٤) هو عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل المشهور، (٦٤٤م / ٢٣هـ ـ ٧١١م /٩٣هـ).

(٥) الحطيئة هو جرول بن أوس اشتهر بالهجاء وله شعر في استعطاف عمر (٦٧٩م / ٥٩م).

(٦) عبداللطيف شرارة، الأخطل الصغير، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥ ص ٤٣.

(٧) هي جماعة حملت لواء التجديد في الأدب، وأسسها أحمد زكي ابو شادي الذي أسس مجلة (أبولو) في سبتمبر ١٩٣٢، وقد ترأس الجماعة أحمد شوقي ولم تدم رئاسته لها طويلا فقد توفي في العام نفسه.

(٨) عبدالعزيز الدسوقي ـ جماعة أبولو، وأثرها في الشعر الحديث، القاهرة معهد الدراسات العربية، ١٩٦٠، ص : ١٢٧ .

(٩) د. علي الحديدي في أدب الأطفال ـ القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٦، ص ٢٤٥.

(١٠) محمد عثمان جلال : العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ، القاهرة المطبعة الأميرية، ١٢١٣هـ.

(١١) لافونتين شاعر فرنسي (١٦٣١ ـ ١٦٩٥م) ألف كثيرا من الحكايات أشهرها (الحكايات المنظومة) وهي مأخوذة عن إيسوب.

(١٢) إيسوب أو إثيوب بالثاء. وقد جاء الأسم بالثاء في مقدمة العيون اليواقظ وهو أول يوناني كتب الخرافات في القرن السادس ق . م . أنطق فيها الطير.

(١٣) أحمد شوقي : الشوقيات، الجزء الرابع، القاهرة ـ مطبعة الاستقامة، (١٨٩٨).

(١٤) أحمد شوقي : الشوقيات، الجزء الرابع، دار الكتاب العربي، بيروت ص ١٠ ، ١٩٨٤.

(١٥) أحمد سويلم ـ محمد الهراوي : شاعر الأطفال، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة، ١٩٨٥.

(١٦) ياسر المالح ـ الطفل يغني كلماتي، الكويت، (ديوان مخطوط، تحت الطبع حاليا).

(١٧) هدى برادة، السيد العزاوي : الأطفال يقرؤون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ص ١٩٠.

(١٨) عربي عاصي، في قصص الأطفال دمشق، دار الكرمل، ١٩٨١، ص ١١٠.

(19) Donna E. Norton, Throgh the eyes of a Child : An Introduction to children's literature, charles E. Merrill publishing Co. Columbus, 1983. P. 323

(٢٠) أحمد شوقي، الشوقيات، المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٢١) احمد سويلم، المرجع السابق. ص ١٦٠.

(22) Bernard J. Lonsdle and Helen K. Mackintosh, Children Experience Literature, Random house New York. 1973 P. 203.

(٢٣) حسن دكسن ـ أغاني سندباد، بغداد، دار ثقافة الأطفال، ١٩٨٥، ص ١١.

(24) Charlotte S. Huck, Children's Literature in the elementary school, third edition, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1970. P. 230.

(٢٥) ابن المقفع : عبدالله بن المقفع، كاتب فارسي الأصل، عاش في أواخر الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، وتوفي عام ٧٢٧م نقل عن الفهلوية كتاب كليلة ودمنة، وله الأدب الكبير الصغير.

(٢٦) أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي، شاعر مكثر من شعراء البصرة. توفي سنة ٢٠٠ هـ.

(٢٧) ابن الهبارية هو الشريف أبو ليلى محمد بن محمد بن صالح، ولد ببغداد، وأقام مدة بإصبهان توفي سنة ٥٠٩هـ.

(٢٨) الصادح الطائر الذي يصدح، والصداح صوته، والباغم الظبى، والبغام صوت الظبي الرخيم. ابن الهبارية : الصادح والباغم ـ القاهرة، مطبعة وادي النيل المصرية ١٢٩٢هـ.

(٢٩) حسن محسن ـ الشعر القصصي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠ ص ٢٧.

(٣٠) شارلز بيرو ـ هو شاعر فرنسي، عاش في القرن السابع عشر، وكتب حكايات امي الأوزة ١٦٩٨ التي تعد مصدرا لأشهر قصص الأطفال في العالم كسندرلا ـ وذات الجمال النائم، والقط ذو الحذاء، وقد جمع تلك المجموعة من التراث الشعبي.

(31) Elliott, D. Landau and Others, Child Development Through Literatura, prentice - Hall, INC, Englewood Cliff, New Jersey 1972. P.173.

(32) Donna E. Norton, Op. cit. P. 323.

(٣٣) إبراهيم محمد صبيح، الطفولة في الشعر العربي الحديث، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥ ص ٢٧١.

(٣٤) الشوقيات ـ مرجع سابق ص ١٩٠.

(٣٥) عبدالعليم القباني، قصائد من حديقة الحيوان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٦.

(٣٦) فؤاد بدوي، من أصحابي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢، ص ٢.

(٣٧) سليمان العيسى ـ ديوان الأطفال، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٦٩ ـ ص ٤٨.

(٣٨) إيليا الحاوي ـ خليل مطران شاعر القطرين، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٨، ص ١٥٣، ١٥٤.

المراجع

(1) Paul Copperman : Taking books to heart «How to develop a love of Reading in your Child», Addison - Wesley publishing Company, Inc, Reading, England, 1986.

(٢) كافية رمضان، فيولا الببلاوي «الدراسة العلمية لثقافة الطفل»، المجلد الأول، (ثقافة الطفل)، الكويت، مطبعة الحكومة سنة ١٩٨٤.

(3) Bernard J. Lonsdale and Helen Mackinstosh, Children Experience Literature, New York, Random house, 1973.

(٤) عبداللطيف شرارة : «الأخطل الصغير» (من سلسلة شعراؤنا)، بيروت، دار صادر ١٩٦٥.

(٥) عبدالعزيز الدسوقي : «جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث»، القاهرة معهد الدراسات العربية ١٩٦٠.

(٦) علي الحديدي : «في أدب الأطفال»، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦.

(٧) محمد عثمان جلال : «العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ»، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٣١٣هـ.

(٨) إبراهيم أيوب : «آداب العرب»، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٣م.

(٩) الشوقيات، الجزء الرابع، القاهرة، مطبعة الاستقامة (د. ت).

(١٠) الشوقيات، الجزء الرابع، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٤م.

(١١) أحمد سويلم : «محمد الهراوي ـ شاعر الأطفال»، المركز القومي لثقافة الطفل القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.

(١٢) هدى برادة، السيد العزاوي : «الأطفال يقرأون»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

(١٣) عربي عاصي : «الحيوان في قصص الأطفال»، دمشق، دار الكرمل، ١٩٨١.

(14) Donna E. Nortion; Through the eyes of a child, An Introduction to children's Literature, Charles E. Merrill publishing company, Columbus 1983.

(15) Charlote S. Huck : Children's Literature in the Elementary School, Third Edition, Holt, Rinehard and winston, NeW York, 1976.

(١٦) حسن محسن : الشعر القصصي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠.

(17) Elliott, D. Landau and Others, Child development through litterature, prentice - Hall, Inc, Englewood, Cliffs, New Jersy, 1972.

(١٨) إبراهيم محمد صبيح : «الطفولة في الشعر العربي الحديث»، الدوحة، دار الثقافة ١٩٨٥.

(١٩) إيليا الحاوي : «خليل مطران شاعر القطرين»، ج ٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٨.